لجنة النشر للجامعيين

أبو بكر يقاتل مانعي الزكاة

عبد الحميد جودة السحار

ملتزم الطبع
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي باشا

دار مصر للطباعة
١٠ شارع كامل صدقي باشا (الفجالة)

بسم اللہ الرحمن الرحیم

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا »

(قرآن کریم)

١

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، يرى تَوْطيدَ سُلطانِ المُسلمينَ على حُدودِ الشّام ، فقد بلغَه تفكيرُ الرُّوم الَّذينَ كانوا يحكمُون الشّام ، فى مهاجمةِ المُسلمين ، وقد أرْسلَ لقِتالِهم جيشًا بقيادَةِ زيدِ بنِ حارثَة ، وقُتِلَ قُوَّادُ هذا الجيْش ، فخرجَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لقِتالِ الرُّوم ، وسارَ حتّى بلغَ تَبُوك ، ولكنَّ الرُّومَ لمْ يقابِلوه ، بَلِ انسحبوا إلى داخِلِ بلادِهم . فلَمَّا أتمَّ النَّبيُّ حِجَّةَ الوَداع ، أمر بتجهيزِ جيشٍ للخُروجِ إلى الشّام ، وأمَّر على الجيشِ أُسامةَ بنَ زيد .

كان أُسامَةُ فى العشرينَ من عمرِه ، وكان فى جيشِهِ

أبوبكرٍ وعمرُ وكبارُ الصَّحابَة ؛ وقبل أن يسيرَ جيشُ أُسامَة ، مات رسولُ الله ، وأصبحَ أبوبكرٍ خليفةَ رسولِ الله ، فدخل النَّاسُ عليهِ ، وقالوا له :

— إنَّ الأمورَ قد تبدَّلَتْ بعدَ موتِ الرَّسول ، ولا يعلمُ أحدٌ ما يستجدُّ من الأُمورِ إذا بلغ القبائلَ خبَرُ موتِ محمَّد .

فقال أبوبكر :

— والَّذى نفسُ أبى بكرٍ بيدِه ، لو ظننْتُ أن السِّباعَ تَخْطِفُنى ، لأنفَذتُ بعثَ أُسامَة ، كما أمر به رسولُ الله ، ولو لمْ يبْقَ فى القُرى غيرى لأنفَذْتُها .

وقال أُسامةُ لِعُمَر :

— ارْجِعْ إلى خليفةِ رسولِ الله ، فاستأْذِنْهُ لى أن أرجِعَ بالنَّاس ، فإنَّ مَعِى وجوهَ النَّاسِ وحدَهم ،

ولا آمنُ على خليفةِ رسولِ اللهِ وعلى المُسلمينَ أن يتخطَّفَهُمُ المُشرِكون .

وسار عُمَرُ ليدخُلَ على أبِي بكر ، فجاءَهُ الأنصارُ وقالوا له :

— إنْ أبَى إلاّ أَنْ نَمْضى ، فأَبلِغْه عنا ، واطلبْ إليه ، أن يُوَلِّيَ أمرَنا رجُلاً أقدَمَ سِنًّا من أُسامَة .

دخل عُمَر على أبى بكرٍ وقال له :

— أُسامةُ يستأذِنُ أن يرجِعَ بالنّاس .

فقال أبوبكرٍ فى عَزْم :

— لو خَطِفَتْنى الكِلابُ والذِّئاب ، لا أردُّ قضاءً قضى به رسولُ الله .

فقال عُمَر :

— الأنصارُ يطلُبون أن تُوَلِّىَ رجلاً أقدمَ سِنًّا من أُسامَة .

فثارَ أبوبكرٍ وغَضِب ، ووثبَ على عُمَرَ الَّذى كان الناس يخشَوْنَه ، وجذَبه من لِحْيَتِهِ جَذْبةً شديدة ، وصاح فيه : ثَكِلَتْكَ أمُّك وعَدِمَتْك يا بنَ الخطَّاب ، اسْتعمَلَهُ رسولُ الله ، وتأمُرنى أنْ أنزعَه ؟ !

وخرج عمرُ إلى النَّاس ، فأسرعوا إليه يسألونَه :

— ماذا فعَلت ؟

فصاح فيهم : امضُوا ثَكِلَتْكُمُ أمَّهاتُكم ، مَا أَشَدَّ ما لقيتُ فى سبيلِكم من خليفةِ رسولِ الله .

٢

نُفِخ فى البُوق ، فجاءَ المُسلمونَ ليخرُجُوا فى جيشِ أُسامَة ، وجاءَ عمَرُ بنُ الخطَّاب ، فقد كان جُنديًّا فى هذا

الجيش ، وأقبلَ أسامَة راكبًا جوادَه ، وجاء أبوبكرٍ يسيرُ على رجلَيه ، فلمّا رآهُ أسامةُ ، همّ بأنْ ينزِلَ عن جوادِه ، فأشارَ له أبوبكرٍ أن يبقَى ، فقال أُسامة :

— يا خليفةَ رسولِ الله ، والله لَتركبَنَّ أو لَأَنزِلَنَّ .

— واللهِ لا تَنزِلَنَّ ، ووالله لا أركب ، وما علىَّ أنْ أُغبِّرَ قدمىَّ فى سبيلِ الله ساعة ، فإنّ للغازى بكلِّ خَطوةٍ يخطوها سَبعمائةِ حسَنة تُكتبُ له ، وسَبعمائةِ درَجةٍ تُرْفعُ له ، وأنْ تُرْفَعَ عنه سَبعمائة خطيئَة .

لقّن أبوبكرٍ الجنودَ الّذينَ تحتَ إمرةِ أُسامَةَ درسًا فى احترامِ القائد ، وأرادَ أن يلقِّنَهم درسًا آخرَ فى توقيرِه ، فقال لأُسامة :

— إنْ رأيتَ أن تُعينَنى بعمَرَ فافعَلْ .

لم يأمُرْ أبوبكرٍ ببقاءِ عمَرَ معه فى المدينة ، وهو

الحاكمُ النّاهى ، بل استأذنَ قائدَ الجيشِ فى بقائِه معَه ، ليُعينَه على أمورِ المسلمين ، فرسَم لكبارِ الصّحابةِ طريقةَ مُعاملةِ قائدِهم ، وإنْ كان فى العشرينَ من عمرِه ، علّمهم أن يحترِموه ، وأنْ لا يستخِفَّ به أحد .

أشار أُسامةُ بيَدِه لعمرَ بنِ الخطّاب ، فخرج من بينِ الصُّفُوف ، وأشارَ أبوبكرٍ لجيشِ أُسامةَ بيده ، وقال :

— اندَفعوا باسم الله .

وخرج جيشُ أُسامةَ قاصِدًا الشّام .

٣

فَرَض الإسلامُ على المسلمينَ الزّكاة ، وكان النّبىُّ يُرسلُ رجالاً يجمعونَها من القَبائل ، فكانتِ القبائل تدفعُ لهُمُ الزّكاة ، فتُحْملُ إلى المدينة ، ويقومُ النّبىُّ صلّى الله عليه وسلّمَ بتوزيعِها على الفقراءِ والمساكين ، ويُعتَقُ بها العبيد ويُنفَق منها على الدّولة . فلما ماتَ

رسولُ الله ، جاءتْ وفودُ القبائل إلى المدينة ، وعرضوا على أبي بكرٍ أنْ يُصَلّوا ، وأن لايدفعوا الزَّكاة ، فرفض أبو بكرٍ هذا العَرْض ، لأنَّ الزَّكاةَ ركنٌ من أركانِ الدّين ، وعزم على أنْ يقاتلَهم حتى يؤدّوا الزَّكاة ، فقال له عمر :

— كيفَ تقاتلُ النَّاس ، وقد قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « أُمرتُ أن أقاتِلَ النَّاسَ حتى يقولوا : لا إلهَ إلاّ الله ، فمنْ قالَها فقد عَصَم منّي مالَه ونفسَه ، إلاّ بحقِّه وحسابِه على الله » .

طلب عمرُ منه أن يتركَهم وما همْ عليه من منعِ الزَّكاة ، ويحبِّبَهم فى الإسلام ، ثمَّ هم بعدَ ذلك يُزكّون ، فقال له أبوبكر :

— أجبَّارٌ فى الجاهليَّة ، خوَّارٌ (ضعيف) فى الإسلام ؟ إنه قد انقطع الوَحْيُ وتمَّ الدّين ، أوَ ينقُصُ وأنا حيّ ؟ والله لأُقاتلَنَّ من فرَّق بينَ الصَّلاةِ والزَّكاة ، فإنَّ

الزكاةَ حقُ المال ، والله لو منعونى عناقاً (عَنْزا) كانوا يُؤدّونَها إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، لقاتلتهم على منعِها .

وعادتِ الوُفودُ إلى قبائِلِها ، وقد بانَ الغدْر فى الوجوه ، فجمع أبو بكرٍ كبارَ الصَّحابَةِ وقال لهم :

— إنَّ الأرضَ كافرة ، وقد رأى وفدُهم قلَّة ، (بعد خروجِ جيشِ أسامَة) ، وإنَّكم لا تدرونَ أليْلاً تُؤْتَوْنَ (أى تُغْزَوْنَ) أو نهارا ، وقد كان القومُ يأمُلونَ أن نقبَلَ منهم ونوادِعَهم ، وقد أبْنا عليهِم ، فاستَعِدّوا وأعِدّوا .

ولبسَ المُسْلمونَ عُدَّةَ القِتال ، واستعَدُّوا للدِّفاعِ عن المدينَة ، وخرج علىُّ بنُ أبى طالب ، والزُّبيرُ بنُ العوّام ، وسعدُ بنُ أبى وقّاص ، ونفرٌ من المُسلمين لحمايةِ مشارفِ المدينة ، وبَقِى سَائِرُ المُسلمينَ مُدجَّجين بالسِّلاح ، على استعدادٍ للقِتال ، إذا مافكَّر أحدٌ فى مداهمتِهم .

وتحرَّكتِ القبائلُ المجاورةُ قاصدةً المدينة ، وبلغ الخبرُ أبا بكر ، فخرج بالمسلمين ، ليُدافعَ عن دينِ الله ، رأى أنْ يَهْجُم على العدُوِّ فى اللَّيل ، قبل أن يهْجُم عليه العَدُوُّ بالنَّهار ، فسارَ فى اللَّيل ، حتَّى بلغ مُعسْكَرَ الأعداء ، وانقضَّ المسلمونَ على أعدائِهم ، وراحوا يُعْمِلونَ السُّيوفَ فيهم ، حتَّى هَرَبوا ، فسارَ المسلمونَ وراءَهم .

كان الأعداءُ قد تركوا مَدَدًا من الرِّجالِ خلفَهم ، فانضمَّ المدَدُ إلى الهاربين ، ووقَفُوا فى وجهِ المسلمين ، ودار القتالُ شـــديدًا رهيبًا فى اللَّيل . وأحسَّ المسلمونَ رواحلَهم تتقهقَرُ مرعوبَة ، وظَلَّتْ تتقهقر ، فقد جاء الأعداءُ بأوعيةٍ من جلودٍ نفخوها وربطوها بالحِبال ، وضربوها بأرجلِهم فى وجوهِ إبل المسلمين ، فخافتِ الإبل ، واستمرتْ فى تقهقرِها حتى دخلتِ المدينة .

ونامَ الأعداءُ تلكَ اللَّيلة ؛ حسَبوا أنهم انتصروا على المُسلمين ، ولـكنَّ المسلمينَ لم يذوقوا للنَّومِ طعما ، وراحَ أبو بكرٍ يستعِدُّ لمعاوَدَةِ الهجُوم قبلَ أن تطلُع الشَّمس .

وسار أبو بكرٍ مرَّةً ثانيةً إلى الأعـــداء قبل الفجر ، فرآهم نائمين ، فهجم المسلمونَ عليهم ، وراحوا يقْتُلونَهم ، فقَاموا من نومِهم خائفين ، وهربوا مرعوبينَ مهزومين .

وانتصر أبو بكرٍ على الَّذين جاءوا يُرغِمونه على أن يقبلَ مبدأَ عدمِ دفع الزَّكاة ، فخافَتِ القبائلُ منه ، وجاءَ المسلمونَ من مختلِفِ القبائِل إلى المدينةِ يحملونَ الزَّكاة ، وعاد جيشُ أسامةَ إلى المدينة ، فقوِيَ المسلمونَ به ، وكانتْ بعضُ القبـائلِ قد تركَتِ الإسلامَ بعد موتِ النَّبيّ ، وكانَ بعضُ الـكذَّابينَ قد ادَّعوا النُّبوَّة ، فرأى أبو بكرٍ محاربةَ الَّذين ارتَدُّوا ، فـكوَّنَ أحَدَ عشَرَ جيْشا

لِقتالِهم ، وخرجَتِ الجيُوشُ لقتالِ مدَّعى النُّبوَّة وأتباعِهم ، ولرفعِ الرّايةِ الإسلاميَّةِ على بلادِ العربِ جميعها ، كما كانتْ مرفوعة موفورةَ الكرامة ، قبلَ موتِ الرَّسول .

٤

ادَّعى مُسَيلمةُ النُّبوَّة ، فلم يصدِّقْه من قومِه خلقٌ كثير ، فقد كان ضئيلَ الجسم ، أصفَر اللَّون ، لاهيبةَ له ، ولا يبعَثُ مظهرُهُ على الاحترام ، وقد ادَّعى النُّبوَّة في أيّام النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم ، فبعث النَّبيُّ إلى أهلِ اليمامَة — قومِ مُسيلمَة — من يعلِّمُهم دينَهم ، وكان هذا الرَّجلُ الَّذى أرسلَه محمدٌ هو « نهارُ الرِّجال » .

رأى نهارُ الرِّجالُ أنْ يخونَ الأمانَة ، وأن ينضمَّ إلى مُسيلمَة ، وأن يتَّفِقَ معه ، فهو بهذا يستطيعُ أن يكسِبَ الدُّنيا ، وإنْ خسِرَ الآخرة ، فانضمَّ إلى مُسيلمَة ، وقال للنّاس :

— إنَّ محمَّدًا يقولُ : إنَّ مُسيلمَةَ قد اشـــترك في الرِّسالة .

وصدَّق أهلُ اليمامةَ « نهارًا الرِّجَال » وكان سُرُورُهم عظيما ، فمنهم نبيٌّ ومن قريشٍ نبيّ ، ولم يفطُنوا إلى أنّ مُسيلمَةَ كذّاب ، وأنَّ « نهارًا الرِّجَال » خائنٌ باع آخرتَه بدُنياه .

ومات النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فأرسلَ أبو بكرٍ إلى مُسيلمَةَ جيشا ، بقيادةِ عِكْرِمَةَ بنِ أبي جهْلٍ ، ولكن عِكرِمَةَ هُزِم ، فأرسلَ أبو بكرٍ جيشًا آخرَ بقيادةِ خالدِ ابنِ الوليد ، قائدِ الإسلامِ الأوَّل ، وسيفِ اللهِ المسلول .

سار جيشُ خالد ، حتَّى وقفَ جيشُ خالدٍ وجيشُ مُسيلمَةَ وجهًا لوجه ، وقد امتلأتِ الصُّدورُ حماسة ، فالمسلمونَ يُدافعونَ عن دينِهم ، وأهلُ اليمامةِ عن نبيِّهم

الكذّاب ، ودارتْ رحَى المعرَكة رهيبة ، فلم يثبُتِ المسلمونَ وتقهقَروا ، وساء بعضَ ذوى الهِمَمِ العاليةِ أن ينهزِمَ المُسلمون ، فعزَموا أن يَثْبتُوا فى الميْدان ، حتى يحكُمَ الله بينَهم وبينَ الفَجَرةِ المُرتدِّين ، وثارَتِ الحَمِيَّةُ فيهم ، فانطلقَ زيدُ بنُ الخطّاب إلى نَهارِ الرِّجَال ، وعاجلَه بضربةٍ فقتلَه .

وشدَّد المسلمونَ النَّكير ، وراحَ أتباعُ مسيلمةَ يَسقطونَ حولَه قتلَى ، فرأَى خالدٌ أن يسيرَ إلى مُسيلمةَ ليقتُلَه فتنتهى المعرَكة ، فهجم عليه وهوَ يصيح : « وا مُحمَّداه » ! وما بلغ صوتُه آذانَ المُسلمينَ حتى فارَتِ الدِّماء فى عروقِهم وأخذوا يُطيحونَ رُءوسَ المخدوعينَ فى نبيِّهم ، ورأى مُسيلمةُ ضغطَ المسلمينَ عليه ، وطلبَ خالدٍ له ، فدبَّ الذُّعرُ فى نفسِه وفرّ ، وفرَّ من كانَ حولَه .

وصاح صائح : « إلَى الحديقَة . . . إلَى الحديقَة » .
فدخل القومُ حديقةً كانتْ لمسيلمَة ، وكانتْ واسعةَ الأرجاء ، منيعةَ الجُدران ، كأنّها الحِصن ، وأُغلِق بابُ الحديقَة ، فراحَ المسلمونَ يتسلَّقون الجُدران ، ويقاتلونَ الأعداءَ ، حتى فتحوا بابَ الحديقَة ، فتدفَّق المسلمونَ منه كالبَحر ، وقُتِل مُسيلمَة ، وقُتِلَ معه خلقٌ كثير .

وانتصرَ خالدُ بنُ الوليـــدِ على مُسيلمَة الكذَّاب ، وانتصرَتْ جيوشُ المسلمين ، وعادتْ إلى المدينَة ، فاستقبلَها أبو بكرٍ مسرورا ، فقد أعادَ للإسلام هَيْبَتَه ، وأقامَ دعائمه ، وأرغمَ القبائلَ على أنْ تُؤَدِّيَ الزَّكاة ، واستعدَّ أبو بكرٍ ليُرسِل الجُيوشَ لنشرِ دينِ الله ، وإقامَةِ أركانِه ، وتوطيدِ بُنيانِه .

القصص الديني

الحلقة الثالثة

الخلفاء الراشدون

١ — أبو بكر خليفة الرسول
٢ — أبو بكر يقاتل مانعي الزكاة
٣ — أبو بكر وخالد بن الوليد
٤ — وفاة أبي بكر الصديق
٥ — عمر أمير المؤمنين
٦ — فتح دمشق
٧ — عمرو سعد بن أبي وقاص
٨ — عمر في بيت المقدس
٩ — فتح مصر
١٠ — عمر والرعية
١١ — وفاة عمر
١٢ — عثمان بن عفان
١٣ — فتح أفريقية
١٤ — عثمان وثورة الأمصار
١٥ — مقتل عثمان
١٦ — الإمام علي بن أبي طالب
١٧ — وقعة الجمل
١٨ — وقعة صفين
١٩ — التحكيم
٢٠ — مقتل الإمام

دار مصر للطباعة

ثمن القصة ٢٥ مليما